

عصر صغار الصحابة وكبار التابعين: من ولادة معاوية إلى أوائل القرن الثاني الهجري الحالة السياسية في هذا العهد: اجتمعت لمعاوية أقطار البلاد الإسلامية كلها، بعد أن صالحه الحسن بن علي رحمة الله، "الباقر" محمد بن علي بن الحسين: هو أبو جعفر "محمد بن زيد العابدين علي بن الحسين" بن علي بن أبي طالب، رضي الله عنهم أجمعين، ووالد جعفر الصادق. سيدا، كبيرا؛ وإنما قيل له الباقر: لأنه تبرق في العلم: أي توسع، والتبرق: التوسع، وفيه يقول الشاعر: وخير من لم يرى على الأجيال توقي في سنة ثلاثة عشرة ومائة بـ "الحميمة"، فإن المناورة لمعاوية والحكم الأموي ظلت قائمة، من الخوارج تارة، وهم الذين ينقمون على عثمان وعلى معاوية جميعا، وينكرون سياسة الملك الديني، ومن الشيعة أخرى، وهم الذين يرون الخلافة حقاً لعلي وأهل بيته خاصة. فإذا أضفنا إلى هذا أن سياسة حكمبني أممية واجهت في كثير من الفترات سخطاً متزايداً، وخروجها على سلطانها في بعض الجهات، ولقد كان معاوية صاحب حنكة سياسية خفت من حدة الخصومة بينه وبين أعدائه؛ إلا أن بيعته ليزيد أثارت كثيراً من السخط لدى أهل الورع والتقوى، كما كان لواقعه كربلاء ومقتل الحسين رد فعل كذلك، وزاد الطين بلة استقلال عبد الله بن الزبير، واعتصامه بمكه، كي يستتب له الأمر واعتمد في جمع كلمة الناس عليه على رجل مستبد، يعيش إذلال النفوس بالقهر والعنف، ذلك هو الحجاج بن يوسف الثقفي الذي أحمد. كثيراً من الثورات، وحاصر مكة، وانتهك حرمتها وقتل عبد الله بن الزبير سنة ثلاثة وسبعين للهجرة. ولئن كان عهد الوليد بن عبد الملك من أزهى عصوربني أممية؛ حيث ازدهر بالفتورات الإسلامية شرقاً وغرباً، فأسأء للقواعد الفاتحين، ثم أعقبه عمر بن عبد العزيز "التقى الزاهد" فحاول رد المظالم وإقامة العدل، واتجه بسياسة الحكم إلى إعادة سيرة الخلفاء الراشدين، ولكن الأمر ساء من بعده في عهد يزيد بن عبد الملك، ثم في عهد أخيه هشام، وببدأ الضعف يدب إلى أوصال الدولة الأموية، وقامت الدعوة السرية لبني العباس. ومن هذا العرض السريع وتتابع الأحداث التي وراءه أخذ كثير من الباحثين المؤرخين علىبني أممية أموراً أولاً - أن نزعة الحكم في عهد الأمويين بدأت باتجاه عنصري يتغير في النفس عوامل العصبية ونظام الملك، فعندماقرأ مروان بن الحكم عامل معاوية على المدينة كتاب معاوية لأخذ البيعة ليزيد في مسجد المدينة هاج القوم وماجوا، وقال عبد الرحمن بن أبي بكر: "ما الخيار أردتم لأمة محمد، ولكنكم تريدون أن يجعلوها هرقلية: كلما مات هرقل قام هرقل" وقام الحسن بن علي فأنكر ذلك، وفعل مثله عبد الله بن الزبير. ثانياً - أنها جنت إلى سياسة الملك التي تهتم بتقوية نفوذها، واستقرار الأمر لها دون التزام لسيرة الخلفاء الراشدين اعتصاماً بالدين ووقوفاً عند حدوده. ثالثاً - أنها عاملت بعض الصحابة وشيوخ التابعين بعنف وشدة كمعاملة الحجاج لسعيد بن جبير، و موقفه من عبد الله بن الزبير، رابعاً - أن الحكم الأموي استباح أشياء من الأمور المشتبهات في الإسلام وغلب جانب الرأي فيما يجد من مسائل النزاع وأمور المعاملات: "أ"

فاستلحق معاوية زياداً، وقبل زياد هذا الاستلحاق والله تعالى يقول: {مَا جَعَلَ اللَّهُ لِرَجُلٍ مِنْ قَلْبِنِ فِي جَوْفِهِ وَمَا جَعَلَ أَزْوَاجَكُمُ الَّذِي تُظَاهِرُونَ مِنْهُنَّ أَمَهَاتُكُمْ وَمَا جَعَلَ أَدْعِيَاءَكُمْ أَبْنَاءَكُمْ ذَلِكُمْ قَوْلُكُمْ بِأَفْوَاهِكُمْ وَاللَّهُ يَقُولُ الْحَقَّ وَهُوَ يَهْدِي السَّبِيلَ، ادْعُوهُمْ لِأَبَائِهِمْ هُوَ أَقْسَطُ عِنْدَ اللَّهِ فَإِنْ لَمْ تَعْلَمُوا أَبَاءَهُمْ فَإِخْوَانُكُمْ فِي الدِّينِ وَمَوَالِيْكُمْ وَلَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ فِيمَا أَخْطَأْتُمْ بِهِ وَلَكُنْ مَا تَعَمَّدْتُ قُلُوبُكُمْ وَكَانَ اللَّهُ غَفُورًا رَّحِيمًا} ١. ويقول صلى الله عليه وسلم: "من ادعى لغير أبيه فليتبواً مقعده من النار". رواه البخاري ومسلم. إلا أنني سمعته يقول: قاتل الله فلاناً، وقد تولى القاضي أبو بكر بن العربي الجواب عن هذه التهمة بما فيه الكفاية في كتابه "العواصم من القواسم" وبين أنه لا يعرف لزياد أب قبل دعوى معاوية على التحقيق، وله نسب بعيد الثقفي بالحضانة، وقد استعمله عمر على بعض صدقات البصرة، وهو صحابي المولد، فهذا الكلام فيه مقال. وأما استلتحق معاوية زياداً فلأنه سمع ذلك من أبيه، وقد اختلف العلماء فيما إذا استلتحق الأخ أخاً يقول: هو ابن أبي، وقال الشافعي في أحد القولين: يثبت النسب. وقد كان زياد مجاهلاً للأب، ويسمى زياد ابن أبيه، بـ - واستباح بنو أمية التي حرمتها الله، والمدينة التي حرمتها رسوله، حيث استباح يزيد بن معاوية المدينة وانتهتها ثلاثة، وثنى عبد الملك بن مروان. فأذن للحجاج في أن يستبيح مكة واستباحها الحجاج، ففعل فيها الأفاعيل، فقال أبو الدرداء: "من يعذرني من معاوية، أخبره عن رسول الله ويخبرني عن رأيه. لا أسكنك أرضاً". رواه مالك في الموطأ، وأصله عند مسلم، وأن الذي نهى معاوية عبادة بن الصامت؛ وإنما رأى معاوية ذلك إما لأنه حمل النهي على المسبوك الذي به التعامل وقيم المخالفات، أو كان لا يرى ربا الفضل كابن عباس فيما روى عنه أول الأمر. وينبغي الإشارة هنا إلى ما رواه أهل السنن عن رسول الله صلى الله عليه وسلم: "يكون الخلافة ثلاثين سنة، ثم تصير ملكاً". وهو الحديث الذي استند إليه العلماء في تقرير خلافة الخلفاء الراشدين الأربع؛ فقد كانت وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم في شهر ربيع الأول سنة إحدى عشرة من الهجرة، وكان هذا الإصلاح مصداقاً لما رواه البخاري وغيره عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال للحسن: "إن ابني هذا سيد". وفي الحديث الذي رواه مسلم "ستكون خلافة نبوة ورحمة، ثم يكون ملك وجبرية، ثم يكون ملك عضوض". وعهدبني أمية هو الذي يصدق فيه

القول بأنه ملك ورحمة، وأولهم معاوية. ولا شك أن معاوية صحابي له فضل الصحابة التي وردت في الأحاديث الصحيحة، فلا يجوز لأحد أن ينال منه، وإن كان الصحابة ليسوا على درجة سواء في الفضل، وقد استعمله عمر رضي الله عنه على الشام بعد أخيه يزيد بن أبي سفيان قبل أن يستعمله عثمان. واتفق العلماء على أن معاوية أفضل ملوك هذه الأمة. فإن الأربعه قبله كانوا خلفاء نبوة، وهو أول المولك، ولكنه سن سنة سيئة في حمل الناس على بيعة يزيد، أما يزيد بن معاوية فقد غلا فيه بعضهم فجعله إماماً عادلاً هادياً مهدياً، وغلا آخرون في ذمه فاتهموه بالكفر والزندة. ولا كان من الصحابة باتفاق العلماء، ولا كان كذلك كافراً ولا زندقاً؛ وإنما تولى بعد أخيه على كراهة من بعض المسلمين ورضا من بعضهم. وجرت في إمارته أمور عظيمة: أحدها: مقتل الحسين رضي الله عنه، حيث حاربه بجيشه، وحين طلب الحسين منهم أن يحيي إلى يزيد أبوا إلا أن يقتلوه وأصر عبد الله بن زياد على قتله؛ كما كان قتل عثمان رضي الله عنه قبله من أعظم أسباب الفتن في هذه الأمة. الأمر الثاني: استباحة المدينة، وأخرجوا نوابه فبعث إليهم جيشاً، وأمره إذا لم يطيعوه بعد ثلاث أن يدخلها بالسيف ويبيحها ثلاثة، فصار عسكره في المدينة النبوية ثلاثة يقتلون وينهبون، ثم أرسل جيشاً إلى مكة المكرمة فحاصروها، وهذا من العداون والظلم الذي فعل بأمره. واتخاذ القيان^١ وقال فيه ابن كثير: "وكان فيه أيضاً إقبال على الشهوات، وإماتتها في غالب الأوقات". أثر الخلافات السياسية في الفقه الإسلامي [مدخل] أشرنا من قبل إلى أن المسلمين قد انقسموا إلى أحزاب ثلاثة: الشيعة، والخوارج، والجماعة. وكانت أول مسألة اشتد فيها الخلاف بين المسلمين، وتشعبت فيها آراؤهم، ولكنه يمتد إلى بذرته الأولى منذ شعر المسلمين عند وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بضرورة التفكير فيما يخلفه، وفي هذه السقيفة رأى الأنصار أنهم أولى بالخلافة، ورأى المهاجرين أن تكون الخلافة فيها. ولم يلبث الأمر حتى تمت البيعة لأبي بكر، ثم تكونت نواة رأي ثالث، وهو أن تكون الخلافة في بيت النبي صلى الله عليه وسلم، وفي علي خاصة لقربته، وسبقه، وجهاده وفضله، وعمله، لما كان عليه الخليتان من عدل وإنصاف وبعد عن معاني العصبية؛ فلما كانت خلافة عثمان رضي الله عنه واستعن بالأمويين أثارت عصبيتهم تبرماً يجنب إلى على، ولكن النزاع الذي تشبّه بينه وبين معاوية، ثم سيطرة معاوية أدى إلى الانقسام الثلاثي الذي ذكرناه آنفاً. ولم يكن شر هذا الانقسام إلى: شيعة، وخوارج، بل نشاً شيء آخر ليس أقل من ذلك خطراً، وتفرقهم في الدين نفسه يجعل بعضهم يكفر ببعض، ويسيء الظن فيه، وقامت الحياة بينهم على السيف أحياناً في ثورات متلاحقة، مدخل] أثر الخلافات السياسية في الفقه الإسلامي [أشرنا من قبل إلى أن المسلمين قد انقسموا إلى أحزاب ثلاثة: الشيعة، والخوارج، والجماعة. وتشعبت فيها آراؤهم، وأدركهم أبو بكر وعمر، وأبو عبيدة بن الجراح، وفي هذه السقيفة رأى الأنصار أنهم أولى بالخلافة، ورأى المهاجرين أن تكون الخلافة فيهم. ولم يلبث الأمر حتى تمت البيعة لأبي بكر، ثم تكونت نواة رأي ثالث، وهو أن تكون الخلافة في بيت النبي صلى الله عليه وسلم، وفي علي خاصة لقربته، وسبقه، أما رأى الأنصار فقد خمد بعد اقتتاله وتسلیم، وسكنت النظرية القائلة بأولوية على في عهد أبي بكر وعمر، فلما كانت خلافة عثمان رضي الله عنه واستعن بالأمويين أثارت عصبيتهم تبرماً يجنب إلى على، ولكن النزاع الذي تشبّه بينه وبين معاوية، وانتهى بقصة التحكيم، ثم سيطرة معاوية أدى إلى الانقسام الثلاثي الذي ذكرناه آنفاً. وجماعة، بل نشاً شيء آخر ليس أقل من ذلك خطراً، وهو اختلاف المسلمين في الرأي، وتفرقهم في الدين نفسه يجعل بعضهم يكفر ببعض، وقامت الحياة بينهم على السيف أحياناً في ثورات متلاحقة، قابلاً [أثر الخلافات السياسية في الفقه الإسلامي] مدخل] أثر الخلافات السياسية في الفقه الإسلامي [أشرنا من قبل إلى أن المسلمين قد انقسموا إلى أحزاب ثلاثة: الشيعة، والجماعة. وأسرع الأنصار قبل دفعه إلى عقد اجتماع في سقيفةبني ساعدة، ليبيتوا في الأمر، وأدركهم أبو بكر وعمر، وأبو عبيدة بن الجراح، وفي هذه السقيفة رأى الأنصار أنهم أولى بالخلافة، ورأى المهاجرين أن تكون الخلافة فيهم. ولم يلبث الأمر حتى تمت البيعة لأبي بكر، ثم تكونت نواة رأي ثالث، وهو أن تكون الخلافة في بيت النبي صلى الله عليه وسلم، وجهاده وفضله، وعمله، وسكنت النظرية القائلة بأولوية على في عهد أبي بكر وعمر، فلما كانت خلافة عثمان رضي الله عنه واستعن بالأمويين أثارت عصبيتهم تبرماً يجنب إلى على، وبقتل عثمان وبمبايعة علي رضي الله عنه تحققت نظرية القائلين بحق علي في الخلافة؛ ولكن النزاع الذي تشبّه بينه وبين معاوية، ولم يكن شر هذا الانقسام إلى: شيعة، وجماعة، قاصراً على الضرار المادي في حياتهم؛ بل نشاً شيء آخر ليس أقل من ذلك خطراً، وتفرقهم في الدين نفسه يجعل بعضهم يكفر ببعض، ويسيء الظن فيه، وقامت الحياة بينهم على السيف أحياناً في ثورات متلاحقة، قابلاً [أثر الخلافات السياسية في الفقه الإسلامي] مدخل] أشرنا من قبل إلى أن المسلمين قد انقسموا إلى أحزاب ثلاثة: الشيعة، ولم يكن أصل الخلاف عليها وليد فتنة عثمان، ولكنه يمتد إلى بذرته الأولى منذ شعر المسلمين عند وفاة رسول الله صلى الله عليه وسلم بضرورة التفكير فيما يخلفه،

وأسرع الأنصار قبل دفنه إلى عقد اجتماع في سقية بني ساعدة، ليبتوا في الأمر، وأدركهم أبو بكر وعمر، وأبو عبيدة بن الجراح، وفي هذه السقية رأى الأنصار أنهم أولى بالخلافة، ورأى المهاجرون أن تكون الخلافة فيهم. ولم يلبث الأمر حتى تمت البيعة لأبي بكر، وفي علي خاصة لقربته، وسبقه، وعمله، وسكنت النظرية القائلة بأولوية علي في عهد أبي بكر وعمر، لما كان عليه الخليفتان من عدل وإنصاف وبعد عن معاني العصبية؛ فلما كانت خلافة عثمان رضي الله عنه واستعان بالأمويين أثارت عصبيتهم تبرماً يجح إلى على، وبقتل عثمان ومباغة علي رضي الله عنه تحققت نظرية القائلين بحق علي في الخلافة؛ ثم سيطرة معاوية أدى إلى الانقسام الثلاثي الذي ذكرناه آنفاً. ولم يكن شر هذا الانقسام إلى: شيعة، وجماعة، قاصراً على الضرر المادي في حياتهم؛ بل نشأ شيء آخر ليس أقل من ذلك خطراً، وتفرقهم في الدين نفسه فجعل بعضهم يكفر ببعضًا، وقامت الحياة بينهم على السيف أحياناً في ثورات متلاحقة، قابلها الأمويون بالعنف والاستبداد حتى أصبح منطق القوة أساساً من أصول الحكم في بعض الفترات. وهذا أصبح لدى كل فريق من الفرق الثلاث فقهه في الأصول والفرع، وجد بنا الوقوف عند فرقتين، هما: الخوارج، على المسلمين وأثرت في الفقه الإسلامي أبلغ تأثير. ١- الخوارج: وتحصية في سبيل عقيدتها، كان أكثرهم من العرب الخلص الذين ألفوا الخشونة وشظف العيش، فتطرّفوا في آرائهم المنحرفة، وجادلوا خصومهم بفصاحة بيان، ويرى الخوارج أن علياً أخطأ في التحكيم؛ لأنَّه يتضمن شك كل فريق من المحاربين أيهما الحق؟ وليس الأمر كذلك، فإنهم حاربوا وهم مؤمنون أن الحق في جانبهم، وقالوا: "لا حكم إلا لله" فسرت هذه الجملة إلى من يعتقد هذا الرأي، وأصبحت شعاراً لهم. وقد طلبوا من على أن يحكم على نفسه بالخطأ. بل بالكفر لقبوله التحكيم، لأنَّه لم يشرك بالله شيئاً منذ آمن، وكيف يرجع عن اتفاق أمضاه، فاستمروا على عنادهم ومضايقهم له؛ فإذا خطب في المسجد قاطعوه بقولهم: "لا حكم إلا لله" ولما يئسوا من رجوعه إلى رأيهم اجتمعوا في منزل أحدهم وخطب خطيبهم يقول: أما بعد. وإن من ١ وضر؛ فإنه من يمن ويضر في هذه الدنيا، فإن ثوابه يوم القيام رضوان الله عز وجل والخلود في جنته، فاخروا بنا إخواننا من هذه القرية الطالمة أهلها إلى بعض كور الجبال، أو إلى بعض هذه المدائن منكرين هذه البدع المضللة. ثم خرجوا إلى قرية قربة من الكوفة تسمى "حرورة" وسموا حينئذ "بالحرورية" نسبة إلى هذه القرية، لأنهم يقولون: "لا حكم إلا لله". وأمروا عليهم رجلاً اسمه عبد الله بن وهب الراسبي. فلأنهم خرجوا على وصبه، وقد حاربهم على رضي الله عنه وهزمهم، وكانتوا له حتى دبروا مؤامرة قتلته، فقتلته عبد الرحمن بن ملجم الخارجي. وظل الخوارج شوكة في جنب الدولة الأموية يهددونها ويحاربونها في جرأة وشجاعة، ويجدون بنا الإشارة إلى أنهم كانوا قسمين: أحدهما: بالعراق وما حوله، وكان أهم مركز لهم "البطائح" بالقرب من البصرة، وقد استولوا على كرمان وبلاد فارس، وهؤلاء هم الذين حاربهم المهلب بن أبي صفرة، ثانيةما: بجزيرة العرب، وقد استولوا على اليمامة، وحضرموت، والطائف، ومن أشهر أمرائهم أبو طالوت، ونجدة بن عامر. واستمرت حروب الخوارج طوال عهد الدولة الأموية، آراؤهم [ومن أشهر آراء الخوارج ما يأتي: وبكر معاوية، وأبي موسى الأشعري وعمرو بن العاص ويطعنون في أصحاب الجمل: طلحة، والزبير، وعائشة. جـ- ويرون أن الخلافة يجب أن تكون باختيار حر من المسلمين، ولا يشترط أن يكون الخليفة قرشياً، خلافة لنظرية الشيعة القائلة بانحصار الخلافة في بيت النبي، ولكثير من أهل السنة القائلين بأن الخلافة في قريش، وإذا تم اختيار الخليفة صار رئيساً للمسلمين، ولا يصح أن يتنازع أو يحكم، ويجب أن يخضع خصوصاً تماماً لأمر الله، فإن لم يقبل وجوب قتله. بـ- رأيهم في الإيمان والعمل: كالصلوة، والصوم، والعدل، أو الاعتقاد مع الإقرار باللسان. أو يرتكب الكبائر يكون كافراً. فقالوا بتكير أهل الذنب، بل اعتبروا الخطأ في الرأي ذنبًا، ولذا كفروا علينا رضي الله عنه بالتحكيم، واستدلوا على ذلك بظواهره. ولا يسرق السارق حين يسرق وهو مؤمن، وغير ذلك من النصوص. لا يراد بها الكفر الذي يخرج من الملة، ولا نفي حقيقة الإيمان، إنما يراد بها نفي كماله. وقد اختلف الخوارج على أنفسهم، وأصبحوا فرقاً متعددة، لكل فرقة آراؤها، ولكنهم يشتّرون إجمالاً في النظريتين السابقتين: نظرية الخلافة، ومنهم من كان يرى أنه لا حاجة بالأمة إلى إمام وعلى الناس أن يعملوا بكتاب الله من أنفسهم، أنه لما سمعهم يقولون: لا حكم إلا لله، قال: "كلمة حق يراد بها باطل، نعم إنه لا حكم إلا لله، ولكن هؤلاء يقولون: لا إمرة إلا لله"، يعمل في إمرته المؤمن، ويستمع فيها الكافر، ويبلغ الله منها الأجل، ويجمع به الفيء ويقاتل به العدو، وتأمن به السبيل، حتى يستريح بر ويستراح من فاجر". ويدّهبون إلى أنه لا حاجة إلى الإمام، وذكر بعض الباحثين أن فرق الخوارج بلغت نحو العشرين، كل فرقة تختلف الأخرى في بعض تعاليمه، ٢- الأزارقة: أتباع نافع بن الأزرق منبني حنيفة، واستباح قتل النساء والأطفال وأهل الذمة، قطري بن الفجاءة المازني التميمي الذي قاتله المهلب بن أبي صفرة قتالاً مريراً حتى هزمته بأرض فارس. ٣- النجادات: أتباع نجدة بن عامر، منبني حنيفة كذلك، فهذا واجب على الجميع، والثاني: ما سوى ذلك فالناس معذورون فيه إلى أن تقوم عليهم الحجة في الحلام والحرام. بايعه خوارج اليمامة سنة ٦٦ هـ وغزا بهم البحرين وعمان

واليمن والطائف؛ لكنه لم يبسط نفوذه إلا في البحرين. خالف النجادات عامة الخوارج، أي أن يظهر الخارجي أنه جماعي حقناً لدمه، وأهل الذمة. ٣- الإباضية: أتباع عبد الله بن إباض التميمي، وكانوا أقل غلواً في الحكم على مخالفيهم، ونزعتهم أميل إلى المساسة، فهم أبعد الخوارج عن الشطط، لا كفار في الاعتقاد، ولذا بقي لهم فقه جيد، ٤- الصفرية: أتباع زياد بن الأصفه، وهم لا يختلفون كثيراً في تعاليمهم عن الأزارقة وإن كانوا أقل تطرفاً منهم، فلا يكفرون بالذنوب كلها، إنما يكفرون بالذنوب التي فيها حد، ولا يحكون بقتل أطفال مخالفيهم، ولا يرون كفرهم وتخلديهم في النار خلافاً للأزارقة، وقد انتشروا في الموصل وأرض الجزيرة. وأكثر الذين اعتنقوا مبدأ الخوارج كانوا عرباً بدواً، انضم إليهم قليل من الموالي. ومن أحسن صفات الخوارج تشددهم في العبادة وإخلاصهم لعقيدتهم وشجاعتهم النادرة، وعروبتهم الخالصة، وأدبهم الرفيع شعراً ونثراً. فقه الخوارج: ١- لقد كان من آثار اهتمام الخوارج بالناحية العملية وتشددهم في سلوك المسلم أنهم ترفعوا في مقاييسهم الفقهية بأمور العبادات؛ فاعتبروا المعاني الأخلاقية والروحية بإزاء العمل البدني؛ ففي طهارة البدن للصلوة مثلاً، وعلى هذا جعلوا من مبطلات الموضوع: الوشاية، والعدواة، والبغضاء بين الناس، والقول الفاحش، أي أنهم رأعوا مع الطهارة البدنية، الطهارة المعنوية. واعتبر القرآن وحده المصدر الحقيقى، محتجين بأن القرآن يبطلها. ورجم الأئمة بعده، والله تعالى يقول في الإمام: {فَإِنْ أَتَيْنَ بِفَاحِشَةٍ فَعَلَيْهِنَّ نِصْفُ مَا عَلَى الْمُحْسَنَاتِ مِنَ الْعَذَابِ} ١، والرجم إنلاف للنفس لا يتبعض؛ فكيف يكون على الإمام نصفه؟ والمحسنات نوات الأزواج وفي هذا دليل على أن المحسنة حدتها الجلد، وهو الذي ورد في القرآن لقوله تعالى: {الَّذِيَّةِ وَالَّذِيَّ فَاجْلُدُوهُ كُلَّ وَاحِدٍ مِنْهُمَا مِائَةً جَلْدٍ} ٢. بـ . وقالوا: روitem أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لا وصية لوارث"، والله يقول: "كتب عليكم إذا حضر أحدكم الموت إنترك خيراً الوصية للوالدين والأقربين" ١ والولدان وارثان على كل حال لا يحجبهما أحد عن الميراث؛ فهذه الرواية في الوصية خلاف كتاب الله عز وجل. جـ . وقالوا: روitem أن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال: "لا تنكح المرأة على عمتها ولا على خالتها"، والأخت بالرضاع، وكل رضاع سوى الأم والأخت فيما أحله الله تعالى. دـ . وقالوا: إنكم ترون أن حد القذف يثبت على على من يقذف المحسنين من الرجال ونحن نقول: إن حد القذف لا يثبت إلا على من يقذف محسنة بالزنا؛ لأن الله تعالى يقول: {وَالَّذِينَ يَرْمُونَ الْمُحْسَنَاتِ ثُمَّ لَمْ يَأْتُوا بِأَرْبَعَةِ شُهَدَاءَ فَاجْلُدُوهُمْ ثَمَانِينَ جَلْدًا} ٤ فذكر رمي المحسنات ولم يذكر رمي المحسنين. وقد ذكر ابن قتيبة هذه المسائل وغيرها نقلًا عن الخوارج في كتابه "تأويل مختلف الحديث" ٥ ورد عليها، ولهذه النزعة أثر عند بعض الناس في عصرنا الحاضر الذين يرون الاكتفاء بالقرآن وحده. بدأت نوأة التشريع لدى هؤلاء الذين يرون أن الخلافة ميراث أبي وآولى الناس بإرث النبي صلى الله عليه وسلم من قرباته، وأولى قرابته العباس عمه وعلى ابن عمه، كما ذكرنا من العباس لسبقه وعلمه وجهاده وزواجه من فاطمة، ولم يرد عن طريق صحيح ما يدل على أن رسول الله صلى الله عليه وسلم عين علياً للخلافة ونص عليه. ويروي البخاري عن ابن عباس "أن علياً رضي الله عنه خرج من عند النبي صلى الله عليه وسلم في وجعه الذي توفي فيه؛ فقال الناس: يا أبا الحسن . كيف أصبح رسول الله صلى الله عليه وسلم؟ فقال: أصبح بحمد الله بارئاً، وإن والله لأرى رسول الله صلى الله عليه وسلم سيتوفى من وجعه هذا، إنني لأعرف وجوهبني عبد المطلب عند الموت، فاذهب بنا نسألة فيمن هذا الأمر، فإن كان فيينا علمناه، فقال على رضي الله عنه: أما والله لئن سألناه فمعنى أنها لا يعطيناها الناس بعده، وأبو سفيان، والمقداد بن الأسود. والزبير، وعمار بن ياسر، وقال فيها ابن خلدون في مقدمته حكاية عنهم: "إن الإمامة ليست من المصالح العامة التي تفوض إلى نظر الأمة، ويتquin القائم بتعيينهم بل هي ركن الدين وقاعدة الإسلام، ويكون معصوماً من الكبار والصغرى، وإن علياً رضي الله عنه هو الذي عينه صلوات الله عليه، بخصوص ينقولونها على مقتضى مذهبهم، بل أكثرها موضوع، أو مطعون في طريقة، أو بعيد عن تأويلاتهم الفاسدة" ٦ وأكثرهم خصائص، ومتاقب، وأنه معصوم، وكذلك من بعده من الأئمة، وخالف في النار مع الكفار والمنافقين وليس بينه وبين النبي صلى الله عليه وسلم إلا النبوة. ٧ - وأدت إلى الغلو في حب على حتى ألهوه، فمنهم من قال كما ذكر الشهري: "حل في على جزء إلهي، واتحد بجسده فيه، وبه كان يعلم الغيب؛ إذ أخبر عن الملائم، وبه كان يحارب الكفار، وله النصرة، والظفر، وبه قلع باب خبيث، وعن هذا قال: والله ما قلعت باب خبيث بقوه جسدانية، وفكرة الرجعة التي تطورت عند الشيعة إلى العقيدة باحتفاء الأئمة وأن الإمام المختفي سيعود، ويملا الأرض عدلاً، ومنها نبع فكرة المهدي المنتظر. ولعل من أكبر العوامل التي ساعدت على هذه الفكرة، أن أكثر شيعة علّكانوا في العراق، من عناصر مختلفة وفي العراق، ومنها ما فيه الزعم بعقيدة الحلول. أما المسلمين العرب فهم أبعد الناس عن هذا الزعم، وتلك المذاهب، وقد عرفوا عقيدة الفطرة في الإسلام القائمة على وحدانية الله وتنزيهه، أهمها: الزيدية، ٨ - فالزيدية: هم أتباع زيد بن علي بن الحسين بن علي بن أبي طالب، ويجزون إماماً المفضول مع وجود الأفضل، ولذا قالوا بصحة إماماً أبي بكر وعمر، وله في الفقه كتاب "المجموع". ٩ - والإمامية: وهو الذين قالوا

بأن محمدا صلى الله عليه وسلم نص على خلافة على، وقد اغتصبها أبو بكر وعمر، ويختلفون اختلافا كثيرا في الأئمة وتسلسلهم لاختلاف فرقهم، ويقولون بعودة إمام منتظر، ومن أشهر فرقهم، الإسماعيلية، والإثنا عشرية، وكل فرقة مذهبها الذي يختلف عن غيرها، وقد كان للتشيع أثره في الفقه الإسلامي. فإن الشيعة لا يعتدون في الأخذ إلا من علمائهم، ولا يفسرون النصوص إلا وفق مبادئهم، ولا يأخذون بالإجماع؛ ولا يقولون بالقياس لأنه رأي، والدين لا يؤخذ بالرأين وإنما يؤخذ عن الله ورسوله وأئمته المعصومين، أـ فقد قالوا بإمامية على وخلافته نصاً ووصاية وأنها لا تخرج من أولاده، وإن خرجت فبظلم يكون من غيره، بل هي ركن الدين الذي لا يجوز للرسول صلى الله عليه وسلم إهماله وإغفاله، وتفضيده إلى العامة، والظلم، والخطأ، والنسيان. ويرى الإسماعيلية أن التوحيد نفي الصفات عن الله؛ لأنك إذا أثبتت الصفات فلا توحيد، وأن أولياءهم وأتوا علم الباطن، وأن الشعائر الدينية لا تلزم إلا العامة، بـ وهو يقولون بجواز نكاح المتعة إلى يوم القيمة، وإنه لم ينسخ، مستدلين بظاهر قوله تعالى: {فَمَا اسْتَمْعَتُمْ بِهِ مِنْهُنَّ فَأَتُوهُنَّ أُجُورَهُنَّ} ١، والمراد بالاستماع: التمتع الكامل بالدخول بالزوجة من نكاح مشروع، والمراد بالأجر: ما يجب للزوجة من المهر كاملا إذا استمتع بها الزوج، وتسمية المهر أجرا لا تدل على أنه أجرا المتعة؛ فقد سمي المهر أجرا في غير هذا الموضوع، ف تكون من قبيل التفسير للآية وليس بحجة. وما روى عن ابن عباس من إياحته: